



معلومات البحث

تاريخ الاستلام:

2023/02/05

تاريخ القبول: 2023/06/15

الاسترسال بين النحو والبلاغة

لطفى الشيباني دكتور باحث في اللسانيات التداولية والعرفانية كلية العلوم
الإنسانية والاجتماعية 9أفريل تونس

Nacerlotfi1977@gmail.com

Printed ISSN:**2352-989X****Online ISSN:****2602-6856**

الملخص:

الاسترسال بين النحو والبلاغة عنوان مقال يتقصى ما يمكن أن ينعقد من صلات نظرية وإجرائية بين ميدانين من البحث الدلالي العربي، وهما ميدانان اتصالا بتحليل الخطاب في مستوياته البنيوية والدلالية والتداولية بخلفيات متنوعة ومناهج مختلفة ومنطلقات خضعت لميولات مدرسية وعقدية. فيبحث في التأسيس لمنهج نحوي بلاغي يرسخ استرسالا في الاهتمام بالدلالة البلاغية من منطلق العلم بقوانين الدلالة النحوية، فيرجع علم البلاغة إلى قوانين علم النحو، ويرد النظم إلى النظام ضمن رؤية تأليفية لمستويات التحليل اللساني.

الكلمات المفتاحية: النحو، البلاغة، الاسترسال، معاني النحو، الدلالة النحوية، الدلالة البلاغية.

ABSTRACT

La Continuum entre grammaire et rhétorique est le titre d'un article qui étudie les relations théoriques et procédurales qui peuvent se produire entre deux domaines de la recherche sémantique arabe, et ce sont deux domaines qui ont été connectés à l'analyse du discours dans sa structure, niveaux sémantiques et pragmatiques avec des origines diverses, des approches différentes et des prémisses qui ont été soumises à des tendances scolastiques et doctrinales. Il examine les fondements d'une approche rhétorique grammaticale qui établit une Continuum d'intérêt pour la signification rhétorique du point de vue de la connaissance des lois de la sémantique grammaticale.

Keywords: grammaire , rhétorique, Continuum, grammaire meaning, sémantico- grammaire, sémantico- rhétorique

1. مقدمة:

إنّ تحديد العلاقة بين النحو والبلاغة يقتضيه المنهج الذي يسعى إلى مقارنة نحويّة دلالية تتجاوز مسائل تطبيقية لترسم معالم التنظير في دراسة مسائل البلاغة بتحديد مستويات التحليل وبحث ظاهرة الاسترسال بين النحو والبلاغة أو تحديد علاقة النحو بعلم المعاني خاصة. فما المقصود بالاسترسال؟ ما مظاهره في المنجز التراثي؟

1- في مفهوم الاسترسال لسانياً:

نعمل على تحديد المقصود بالاسترسال لسانياً بالنظر في الدراسات التي عاجلت المفهوم نحويًا ودلاليًا ثم نطرح ما نقصده بهذا المفهوم.

1-1- الاسترسال في الدراسات اللسانية:

يقوم مفهوم الاسترسال (Continuu) في البحوث اللسانية العرفانية على عدم الفصل بين "المستويات النحويّة، إذ المعجم والصرف والإعراب تكوّن استرسالاً لبنى رمزية، فالمستويات النحوية المعجمية والصرفية التصريفية الاشتقاقية محكومة بقانون الاسترسال في مستوى نظامي وهو استرسال منتج للدلالة قبل أن توسم في المقامات معاني نحوية تتكهن بها أبنية نحوية منجزة.

ويعتبر الشريف أول من أشار إلى مفهوم الاسترسال في مستويات النظام اللغوي وهي مستويات دلالية، ويستمد "كل مستوى لغوي" دلالاته الأساسية من تحقيقه للمستوى اللغوي الذي يسوده، ويفسّر مبدأ المحافظة على البنية المقولية عند الشريف الاسترسال بين الأبنية، وأراد صاحب الكون النحوي بمفهوم الاسترسال تجاوز الدراسات العربية البنيوية الوصفية في وصف حركية النظام اللغوي وعلاقته بالدلالة بل عدّه أساساً لأطروحته "هذا القانون هو الأطروحة (الشريف، 2001، 186-187) يقع بين الأبنية النحوية المتكهنه بالدلالة.

جسد الشريف مفهوم الاسترسال بنيويًا من خلال علاقة البنية المقولية الحديثة بالأبنية وبموجب ذلك تحافظ كل بنية نحويّة مهما كان مستواها من النظام اللغوي على البنية المقولية وتكون البنية الإعرابية الأساسية [ف فا(مف)] أكثر الأبنية وفاءً ومحافظة من منطلق قانون التشارط والاسترسال الذي لا يعني سوى أن جميع الأبنية النحوية والاشتقاقية والإعرابية قابلة لأن تعوّض بالبنية الإعرابية الأساسية [ف فا(مف)] إذ أنّ "خلاصة قانون التشارط والاسترسال أنّ جميع الأبنية النحويّة الاشتقاقية صور من الدلالة المقولية الدنيا [ف فا(مف)] بحيث يمكن تمثيلها بهذه البنية فقط (الشريف، 2001، 1، 374).

استثمر هذا المفهوم في البحوث والدراسات اللسانية في مستوى دراسة العلاقة بين الأبنية النحوية والمعاني النحوية والمعاني البلاغية أو المقامية في التراث النحوي والبلاغي والأصولي (ميلاد، 2001، 473-577) والقول

بالاسترسال التركيبي الدلالي بين الأعمال الخبرية والأعمال الإنشائية من منطلق التأسيس لمفهوم الإنشاء النحوي بنية ودلالة وعلاقته بالإنشاء والخبر البلاغيين، واستثمر أيضا في إعادة تصنيف الأعمال اللغوية وتحديد علاقة الاسترسال بين الخبر والإنشاء ضمن مشروع دائرة الأعمال اللغوية (المبخوت، 2010، 2002) متجاوزا للمقابلة التي سادت التراث النحوي والبلاغي والأصولي بين الخبر والإنشاء والقول بالاسترسال الأعمال اللغوية التي تدل عليها البنية النحوية والأعمال القولية التي تمثل إنجازا مقاميا للأعمال اللغوية.

بحث المبخوت في عمله السابق وفي مقال له موسوم بـ "اتصال الأعمال اللغوية وانفصالها" بيان تولد الأعمال اللغوية وما يكون بينها من تعامل اتصالا وانفصالا (المبخوت، 2004، 25) منطلقا من التمييز بين العمل اللغوي "الذي تدل عليه البنية النحوي" في مستوى النظام، والعمل القولي "الذي يستدل عليه من تعامل البنية النحوية والمعطيات المقامية" (المبخوت، 2004، 33) فأقر بأن العمل اللغوي قابل للحصر باعتبار أن "كل عمل لغوي هو وسم لقوة إنشائية" وقد وسمه النحاة والبلاغيون بالحروف غالبا متجاوز التحاليل التداولية في نظرية الأعمال اللغوية، ومميز بناء على ذلك بين الأعمال اللغوية والأعمال القولية "التي نسلّم بأن عددها يفوق عدد الأعمال اللغوية" (المبخوت، 2004، 36).

وقد استوجب القول بالاسترسال بين الأعمال اللغوية وتجاوز التصنيف التقليدي لمعاني الكلام في المقابلة بين الخبر والإنشاء من المبخوت البحث في "ما استقر بنويها أي إعرابيا وليس ما هو متعدد في الإنجاز" (المبخوت، 2004، 36) من خلال القول بـ "معجم مقولي أدنى" يتكون من مقولات أربع: الإيجاب والسلب والإمكان الإيجابي والإمكان السلبي اعتمد فيه على قواعد الجمع والاقتضاء والاستلزام وهي قواعد تبرز العلاقات القائمة بين المقولات قبل أن تتجسّم بين الأعمال اللغوية قد يقتضي الإيجاب السلب والعكس بالعكس، قد يقتضي السلب الإمكان الإيجابي، قد يقتضي الإمكان الإيجابي السلب أو الإيجاب أو كليهما (المبخوت، 2004، 37) ويحتاج كل ذلك الأخذ بعين الاعتبار علاقات التجاور وبهذه العلاقات وحدها يمكن النظر إلى نظام الأعمال اللغوية في حركيته (المبخوت، 2004، 37) استرساله.

لكن مقترح المبخوت سرعان ما واجه إشكال يتمثل في كيف نميز بين وسمين (الأمر والإثبات) لمقولة الإيجاب، يرد المبخوت الأمر إلى تدخل المقتضيات "فكل عمل لا يتميز عن غيره إلا بتوفر اختلاف في المقتضيات ومقتضيات كل عمل تقوم على استرسال يبرز بالخصوص في المستوى المقولي" (المبخوت، 2004، 40) الذي يتحكم في مقتضيات الأعمال القولية المقامية انطلاقا من استرسال المقتضيات بين مستوى النظام ومستوى الإنجاز الذي عملنا على إبرازه في البحث.

مهدت الدراسات السابقة لمفهوم الاسترسال البنيوي النظامي وهو مفهوم لساني محوري يكتسب القدرة على تفسير الظواهر اللغوية نظاميا ومقاميا، ويمثل وسيلة لبحث قضايا نحوية وبلاغية تتعلق بدراسة معاني الكلام في التراث النحوي والبلاغي والأصولي من حيث الظاهرة والمنهج والمصطلح، فإذا كان الاسترسال البنيوي الدلالي هو بحث

مستوى النظام اللغوي، فما نقصد بالاسترسال في هذه الباب هو الاتصال والانفصال بين المبحثين النحوي البلاغي والمبحث الأصولي في دراسة الضمني اقتضاء واستلزاما.

1-2- الاسترسال الخاص؛ استرسال بين المباحث في دراسة المعنى:

ولئن انطلق أصحاب هذه الدراسات في اختبار مفهوم الاسترسال ضمن دراسة الأبنية النحوية وعلاقتها بالمعاني النحوية وعلاقة المعاني النحوية بالمعاني المقامية والمعاني الضمنية وعلاقة المعاني البلاغية بالنظم بين من يعتبر النظم مستوى سابقا للإنجاز وبين من يعتبره مستوى إنجازي في البحوث النحوية والبلاغية والأصولية وتوصلوا إلى إشارات مقتضبة عن استرسال بين المباحث، فإننا ننتقل من حيث توقفوا لدراسة استرسال ظاهرة الضمني اقتضاء واستلزاما بين المبحثين البلاغي والأصولي.

المقصود بالاسترسال عندنا استرسال البحث النحوي البلاغي والبحث الأصولي في دراسة المعنى ظاهرة ومنهجيا ومصطلحا، وهو يستوجب البحث في استرسال المعاني النحوية والمعاني البلاغية الصريحة والضمنية، ثم أليس استرسال البلاغة والأصول وليد بحث استرسال المعاني النحوية والمعاني الضمنية المقامية، فالمبحثان لم يخوضا في تقديرنا في المعاني الضمنية إلا بعد الخوض في المعاني النحوية.

ولئن عملنا سابقا على الاستدلال على وجود استرسال تركيبى الدلالي بين المعاني النحوية والمعاني المقامية فإننا نواصل البحث في الاسترسال في ظاهرة المعنى الضمني مولين الوجهة نحو علاقة البحث النحوي بالبحث البلاغي ضمن إعادة اكتشاف التراث النحوي بمنظور لساني من خلال مفهوم الاسترسال.

إذا كان ذاك، كان المقصود بالاسترسال الاتصال والانفصال أو التأثير والتأثر بين المبحثين النحوي البلاغي دراستنا للمعنى كشفت لنا أنّ الفصل بين المبحثين يكاد يكون عسيرا لأنّ فصل البلاغي عن النحوي يعد أمرا لا طائل من ورائه كما أنّ فصل البلاغة من النحو ذلك أنّ "تميّز البلاغيين من النحاة... تميّزا تاما يكاد يكون في نظرنا ضربا من العبث لا طائل من ورائه، وذلك أنّه لم يكن يوجد في الحقيقة فاصل واضح وحدّ دقيق يميّز النحويّ من البلاغيّ... وإنّما هو "علم العربية" يستخدمه هؤلاء في هذا المجال ويستعمله أولئك في غيره من المجالات وربّما استخدمه الشخص ذاته ههنا استخداما ثانيا يستلزم اعتباره في صفوف البلاغيين... أو غيرهم فيكون الشخص الواحد نحويّا وبلاغيّا..." (ميلاد، 2001، 317).

ولئن كنّا نسائر الباحث في ما قرّره فإنّ ضرورة تعميق البحث تستوجب منا مزيد التنقيب والتبويب والركون ولو جزئيا إلى التصنيف وفصل العلاقة بين النحو والبلاغة والنظر في نقاط الائتلاف ونقاط الاختلاف في عدة مستويات تهديد للقول بالاسترسال ولا ندعي الريادة فيما نزع البحث فيه ولكن نقدّر أننا نخوض بحثا محفوف بالمخاطر بكرة في

النظر. فالعلاقة بين النحو والبلاغة وكذلك الأصول كانت موضوع عديد الدراسات (مطلوب، 1968) التي نهجت منهجا تاريخيا وصفيا استفدنا منه لكنّ منهجنا ومنطلقاتنا تختلف عن منهجها ومنطلقاتها كما أنّ هدفها غير هدفنا.

2- راهنية البحث:

لقد كان الاهتمام في بداية التأليف منصبا على دراسة الخطاب في مستوى بينته النحوية وملابسات إنتاجه، وحيثيات تلقيه، وفي مستوى قائله ومتلقيه فلم تثر العلاقة بين النحو والبلاغة في التراث النحوي البلاغي إلا في مؤلفات متأخرة، وهي إثارة كانت سببا لانقسام الدارسين المحدثين إلى موقفين؛

2-1- البلاغة باعتبارها علما قائما بذاته:

يؤمن هذا الموقف بقيام البلاغة علما منفصلا عن أحكام النحو متجاوزا عدة صعوبات منها تشتت المادة البلاغية واختلاف المناهج بالتركيز على مؤلفات "عرفت بطابعها البلاغي" (صمود، 1981، 480) وقد فهم من تصنيف السكاكي لمستويات النظام النحوي الدلالي حرص العرب على التمييز بين النحو والبلاغة، فأروا أن النحو يختص بتجريد الاستعمالات الممكنة "لمعرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا" (السكاكي، مفتاح العلوم، 75) ويختص البلاغي بالنظر في "أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال" (التفتازاني، المطول، 1، 156) "الشكلي، السؤال البلاغي، 15) ولا عبرة بهذا الكلام عندنا لأنّ فهم انتظام التصورات النظامية اللغوية في علم الأدب كفيل بمعرفة أنّ السكاكي لم يفصل بين النحو والبلاغة بقدر ما ردّ البلاغة عامة وعلم المعاني خاصة إلى أحكام النحو وقوانينه (صوف، 2010).

2-2- البلاغة باعتبارها إنجازا لمعاني النحو:

وهو موقف يؤمن بوجود "نظرية لغوية عربية وهي نظرية دلالية تبني على "نظام نحوي دلالي متماسك متكامل قادر على استيعاب ضروب النظم وتفسير مختلف الدلالات القولية الإنجازية" (ميلاد، 2001، 15-17) ممثلا في نظرية النظم عند الجرجاني ومفهوم علم الأدب عند السكاكي واعتبر الفصل بين ما هو نحوي وما هو بلاغي "يعد ضربا من العبث لا طائل من ورائه" (ميلاد، 2001، 317) وحجته في ذلك أنّ البلاغيين "كانوا في الأغلب الأعم نخاة" (ميلاد، 2001، 317) فالعلاقة بين النحو والبلاغة قديمة قدم الدرس النحوي ولم تطرح في بدايات النظر في معاني الكلام وإنما كانت العلاقة بين البلاغة والنحو متداخلة ذلك أنّ "التقسيم إلى نحو وبلاغة هو تقسيم طارئ وليس تقسيما أصليا في المنوال الذي أسسه النخاة العرب" (الشاوش، 2001، 18)، فالصلة بين النحو والبلاغة وثيقة "من حيث اشتراكهما في عدد من الفرضيات وعدد من وجوه الإجراء" (الشيباني، 2015، 337).

وإذ تبني هذا الموقف نعمل على مزيد البحث والتعمق في وجوه الاسترسال بين البلاغة عن النحو، فالقول بالانفصال لم يحدث حسب علمنا إلا في فترات متأخرة مع ابن الأثير وشرح التلخيص وأما ما سبقه فالصلة وثيقة بين النحوي والبلاغي، فبالعودة إلى أول كتاب في النحو لسيبويه (182هـ) الذي كان في نظرنا كتابا في البلاغة في وجه من

وجوهه من منطلق نحوي إعرابي، فسيبويه في نظر الشاطبي "إن تكلم في النحو فقد نبّه في كلامه على مقاصد العرب وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها ولم يقتصر فيه على الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ونحو ذلك بل بين في كل باب ما يليق به حتى أنه احتوى علم المعاني والبيان ووجوه الألفاظ والمعاني" (الموافقات، 4، 115-116).

3- التداخل بين مسائل النحو والبلاغة دراسة للخطاب:

من تدارس الخطاب وتحليل أبنيته والحفر في دلالاته في بدايات التفكير النحوي تداخل مسائل النحو بمسائل البلاغة حيناً وتباعد حيناً آخر ويمكن التمييز بين لحظتين: لحظة التداخل بين الدلالة النحوية والدلالة البلاغية ولحظة انفصالهما.

3-1- لحظة التداخل والاسترسال:

أرسى سيبويه البحث البلاغي من خلال أبواب الحذف والذكر والاتساع والاختصار في الكلام وبحث عن المزايا البلاغية ونظر في أبواب التقديم والتأخير منذ الصفحات الأولى في الكتاب بعد أن حدّد قوانين النظام النحوي انتظام للتصورات الإعرابي النحوية والبلاغية فتكلم في أقسام الكلام وعالج علاقة اللفظ والمعنى ونظر من منطلق الإسناد وتقليباته في الكلام والجملة فلفت النظر إلى سرّ الكلام البلاغي وهي ملاحظات متناثرة في الكتاب تلقفها علماء البلاغة وبنوا انطلاقاً منها فروع البلاغة معان وبيانا وبديعا.

وتحدّث سيبويه عن المعاني النحوية والمعاني البلاغية التي تخرج نتيجة تعارض البنية النحوية مع المقام في مباحث الخبر ومباحث الاستفهام والأمر والنهي والنداء والتعجب وكانت ملاحظاته البذور الأولى لتبلور البحث البلاغي في المعاني الثواني الناتجة على إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر. فتحديد صاحب الكتاب لطرائق تولّد المعاني النحوية من المعنى النحوي المجرد الإسناد كان حجر الأساس لنظر البلاغيين في مسائل علم المعاني ف"علم المعاني غالبه من علم النحو" (السبكي، الشرح، 1، 51) وحديث المبرد عن الفروق والوجوه في الخبر (الرجاني، الدلائل، 303) مهّدت لبحث أضرب الخبر في البحث البلاغي.

إنّ التداخل بين النحو والبلاغة تداخل صاحب تشكّل الدرس النحوي، وقد أشار صمود إلى أنّ مادة بحثه المتعلقة بالمسائل البلاغية تركيباً ومعان في فترة ما قبل الجاحظ قد استقاها من كتب النحويين واللغويين وتساءل وأبدى حيرته أمام "الأسباب التي أدت في تاريخ اللغة العربية إلى فصل مبحث المعاني عن النحو وإحاقه بالبلاغة" (صمود، 1981، 50) وأشار إلى الصعوبات التي تواجه الباحث في فصل القول في العلاقة بين النحو والبلاغة و"تميّز المؤلفات البلاغية عن غيرها بل تحديد منهجها" (صمود، 1981، 477-480).

تواصل الدرس النحوي البلاغي مع تلاميذ سيبويه في تداخل يصعب معه الفصل بين البلاغة والنحو وبين البلاغي والنحوي، فقد كان "النحاة هم أصحاب الفضل الأول في نشأة البلاغة على الرغم من أنّها كانت في البداية

نظرات متناثرة هنا وهناك ضمن مباحثهم النحويّة" (حسين عبد القادر، أثر النحاة في البحث البلاغي، 2) حتى أنّ كره الجاحظ للنحويين لم يحل دون هذا الاسترسال.

ورغم اختلاف طرق التأليف وتنوّع مستويات التحليل في القضايا البلاغيّة واختلاف المناهج والخلفيات المدرسيّة وحتى قضايا الاختلاف حول اللفظ والمعنى وقضايا الإعجاز ودراسة مستويات البيان، فإنّنا لم نعثر على موقف صريح يسعى إلى الفصل بين النحو والبلاغة، وإنّما هي دراسة علم العربية نحواً وبلاغةً بيّناً ومعانٍ وأول محاولة تذكر في الفصل بين النحو والبلاغة حسب علمنا هي ما ذكره ابن الأثير (637هـ) في المثل السائر في إطار تمييزه بين العلوم، وتمييزه بين النحو والبلاغة انطلاقاً من التمييز بين الدلالة العامة والدلالة الخاصّة.

3-2- لحظة التمايز والانفصال: بين الدلالة العامة والدلالة خاصّة عند ابن الأثير

تعتبر محاولة ابن الأثير في التمييز بين النحو والبلاغة هي الأولى في التراث النحويّ البلاغيّ لتلتها محاولة شراح التلخيص. فقد عرض ابن الأثير لعلاقة النحو بالبلاغة، فقارن بين المبحثين على أساس الاختلاف والائتلاف في مستوى الموضوع والوظيفة، فأما في مستوى الموضوع، ف"موضوع النحو هو الألفاظ والمعاني" و"أما موضوع علم البيان ف"هو الفصاحة والبلاغة".

وأما في مستوى الوظيفة، فبينما تكون وظيفة النحويّ أن "يسأل عن أحوالهما في الدلالة من جهة الأوضاع اللغويّة" تكون وظيفة البلاغيّ أن "يسأل عن أحوالهما اللفظيّة والمعنويّة"

وأما المؤتلف فهما "يشتركان" في أنّ النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي وتلك دلالة عامة"، وأنّ صاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصّة" (ابن الأثير، المثل السائر، 1، 7)، فالفرق بين النحوي والبلاغي فرق بين مستويات في التحليل اللغوي يستوجب منا إبداء الملاحظات التالية:

- يكشف التمييز ما وصلته الدراسة البلاغية من تطوّر بعد استقرار قوانينها التي لا تعدو أن تكون في نظرنا مؤسسة على استقرار قوانين الإعراب العامليّ في الدرس النحوي. ورغم ما بدا لنا من عدم اعتماد ابن الأثير لهذا الفصل في التحليل والوصف في كتابه المذكور، فإنّه لم يتجاوز الفصل المستوى النظريّ.
- يعكس كلام ابن الأثير تطوّرًا نظريًا في الاهتمام بقضايا المنهج والمصطلح في البحث البلاغيّ النحويّ، وهو تطوّر نعتقد أنّه تأسس على ملاحظات متناثرة في كتب النحاة والبلاغيين واختلاف مناهج التأليف وخلفياته التي كان تقيم علاقة استرسال بين علمي النحو والبلاغة وكافة العلوم الأخرى.
- احتكم التمييز إلى ثنائية المؤتلف والمختلف بين البحث النحويّ والبحث البلاغيّ من حيث موضوع العلم ووظيفة العالم، وهو تمييز أبان فصلاً منهجيًا بين مستوى الوضع ومستوى الاستعمال، بمقتضى ذلك يكون النحو دراسة الدلالة العامة للكلام، وهي دلالة مجرّدة عن مقامات التواصل، وتكون البلاغة دراسة للدلالة الخاصّة للكلام في المقامات التواصلية، فعلم البيان "أخذت ألفاظ ومعانٍ على هيئة مخصوصة" (ابن الأثير، 1، 71)، فتكون الدلالة الخاصّة أو الدلالة البلاغية إنجازاً للدلالة النحويّة في المقامات التواصلية.

- يهتم النحويّ بدلالة الألفاظ على المعاني الوضعيّة، وهي "دلالة عامة" ويدرس صاحب البيان دلالة الألفاظ على المعاني الخاصّة، فينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصّة، وهو تمييز مغر في ظاهره يمكننا من الفصل بين مستويين من البحث في المعنى:
- دلالة الألفاظ على المعاني، وهي دلالة نحويّة وضعيّة نظاميّة هي دلالة معاني النحو بمختلف مستوياتها الإعرابية والصرفيّة والمعجميّة.
- دلالة الألفاظ على المعاني وهي دلالة "نحويّة" مقامية تداوليّة تكون نتيجة إجراء معاني النحو في بين الكلم بتعبير الجرجاني لتحقيق المقاصد والأغراض.

مهما يكن من أمر ذلك، فقد رأى ابن الأثير أنّ تحصيل وجوه الفصاحة والبلاغة يمكن أن يكون خارج قانون الإعراب النحويّ الذي انبنت عليه في اعتقادنا النظريّة النحوية البلاغية قديما نظرا لفهمه الإعراب شكليا يتعلّق عنده بالحركات الإعرابية ولم ينفذ إلى أنّه القانون المسير للنحو فاعتقد بإمكانية الفصل بين النحو والبلاغة وإمكانية الفصل بين الإعراب ومعاني النحو، فما علم البيان ومسائله من كناية واستعارة وتمثيل وتعريض إلا إجراء لمعاني النحو في معاني الكلم وما معاني الكلام إلا إجراء لمعاني النحو.

إذا كان ذلك، كان الفصل في الدراسة بين الوضع والاستعمال فصل بين مستويات الدراسة النحوية البلاغية بمقتضاها يحدد الوضع حدود الاستعمال ويعقل النظام حدود النظم وهو فصل استلهمته بعض الدراسات الحديثة واتخذته حجة لتمييز بين منهجين في البلاغة:

- المنهج البلاغيّ الكلاميّ، من خصائص هذا المنهج "الاهتمام بالتحديد والتعريف والتقسيم المنطقي والاهتمام بجعل التعريف جامعا مانعا ثم استعمال أساليب الفلسفة والمنطق في تحديد الموضوعات وتقسيمها وحصرها واستعمال الألفاظ الفلسفيّة والمنطقيّة والإقلال من الشواهد والأمثلة الأدبيّة" (أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، 103-104) من أعلام هذه المدرسة قدامة بن جعفر صاحب نقد الشعر وابن وهب الكاتب صاحب كتاب البرهان في وجوه البيان وعبد القادر الجرجاني صاحب الدلائل وفخر الدين الرازي (606هـ) صاحب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز والسكاكي صاحب المفتاح.

- المنهج البلاغيّ الأدبيّ: لا يهتم "بالتحديد والتقسيم اهتماما كبيرا وإن جنح إلى ذلك ففي غير تعمق ونفاذ والتزام للتصحيح التام للأصول المنطقيّة فيه إلا أن يكون شيء من ذلك أثرا لعدوى المدرسة الكلاميّة" (أحمد مطلوب، 103-104) (صمود، 2010، 428). وإن كنّا لا نرد هذا التصنيف ولا نقرّ به، فإنّ وجاهته تكمن في السعي إلى التبويب المنهجيّ غير أننا ننطلق في دراستنا من تصنيف آخر نراه أكثر واقعيّة، وهو تمييز في منهج البحث البلاغيّ بين:

- منهج بلاغيّ أدبيّ يمثله الجاحظ يمكن أن نسمه بالمنهج "التداولي" المقامي الذي يهتم بالاستعمال، ويرجع صده ابن الأثير في المثل السائر.

- منهج بلاغي نحوي ورثه في اعتقادنا ابن الأثير في الفصل بين البلاغة والنحو عن منهج الجرجاني والسكاكي، وإن ردّ هذا المنهج البلاغة إلى قوانين النحو العامة وأرجع الدلالة البلاغية الخاصة إلى الدلالة النحوية العامة المجردة.

إنّ التمييز الذي أقامه ابن الأثير تمييز متأخر في تاريخ البلاغة والنحو العربيين، وهو تمييز بني في تقديرنا على ما فهمه لمنعرجين حاسمين اجتهد أصحابهما في ردّ البلاغة إلى النحو ونقصد بهما نظرية النظم للجرجاني(471هـ)، ونظرية الأدب عند السكاكي(626هـ) رغم أنّ تصوّره النظري للعلاقة لم يواكبه المستوى الإجرائي التطبيقي.

ولا يمكن أن نأخذ بتمييز ابن الأثير بين مستويات دراسة المعنى بين البلاغي والنحويّ " فعتبر أنّ "دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغويّ": دلالة معاني النحو بمختلف مستوياتها المعجميّة والصرفيّة والإعرابيّة أوّلاً "فضيلة تلك الدلالة" استخدام معاني النحو تلك وحسن توحيها فيما يناسب من المقاصد والأغراض.(ميلاد، 386، 2001) ثانيًا، ونقر بحقيقة كون الدلالة الخاصة لا تعدو أن تكون مطابقة معاني النحو للمقام، وأن تكون الدلالة الخاصة إنجازا مقاميا للدلالة العامة. فالدلالة الخاصة دلالة إعرابية فهي دلالة نحوية مقامية ترسخ عقل البلاغة بعقل النحو.

ولئن بقي فصل ابن الأثير فصلا نظريا مجردا لم يتجاوزه إلى التطبيق على مسائل البلاغة، ولم نعرف كيف تنفصل البلاغة على النحو في قضايا الاستعارة والكناية وكيف تنفصل المعاني المقاميّة البلاغيّة عن المعاني النحويّة، فإن هذا الفصل كان نتيجة تراكم معرفي في كتب النحاة والبلاغيين توجّ بنظرية النظم عند الجرجاني وعلم الأدب عند السكاكي وهما منعرجان لم يفصلا بين البلاغة عن النحو بقدر ما عملا على تمييز مستويات التحليل، وهذا ما لم يفتطن له ابن الأثير كما أنّ شراح التلخيص لم يفهموه. لذلك قصروا اهتمامهم في مفتاح العلوم على القسم الثالث فاقتطعوه اقتطاعا من انتظام أراد له السكاكي أن يكون دليل على احتواء النحو للبلاغة.

استثمر شراح التلخيص التمييز الذي أقامه ابن الأثير بين النحو والبلاغة مستنديين إلى القسم الثالث من مفتاح العلوم المخصص لعلم المعاني وعلم البيان مهملة الانتظام والاسترسال بين فروع الأدب وخاصة علاقة المعاني بعلم النحو وعلاقتها بالاستدلال(صوف، 2010، 25-26)، فهذا السبكي يميّز بين عمل النحويّ وعمل البلاغيّ تمييزا يجعل من العمل النحويّ التحليليّ للظواهر اللغوية عملا خطيّا "إنّ غاية النحويّ أن ينزّل المفردات على ما وضعت ويركبها عليها ووراء ذلك مقاصد لا تتعلق بالوضع مما يتفاوت به أغراض المتكلم على أوجه لا تتناهى وتلك الأسرار لا تعلم إلا بعلم المعاني والنحويّ، وإنّ ذكرها، فهو على وجه إجماليّ يتصرّف فيها البياني تصرّفا خاصا لا يصل إليه اللغويّ"(السبكي، شروح التلخيص، 1، 53) وهو تمييز انفرد به السبكي دون غيره من شراح التلخيص، لكن ما نلاحظه أنّ في الاكتفاء بالقسم الثالث المهتم بعلمي المعاني والبيان إقصاء لعلم النحو، وفصل للعلاقة بين النحو والبلاغة.

ولغن ذكرت محاولات التمييز بين النحو والبلاغة، فإن المنهج السائد في اعتقادنا قائم على رد البلاغة للنحو وإرجاع معاني الكلام إلى معاني النحو، لذا نستجلى مقومات هذا المنهج انطلاقاً من مرحلتين هامتين من مراحل التفكير النحويّ البلاغيّ "مرحلة التأسيس" مع عبد القاهر الجرجاني و"مرحلة التأصيل" مع السكاكي.

طرح المتوكل مسألة منهج التحليل في التراث اللغويّ، فميّز بين "منهجين اثنين، فاعتبر منهج الجرجاني منهج ينطلق من المعنى إلى اللفظ عبر قواعد النظم، وفي المقابل ينطلق منهج السكاكي من اللفظ مفرداً فمركباً، نحو المعنى [...]"، وعدّ منهج الجرجاني "نموذجاً" لإنتاج العبارة، واعتبر منهج السكاكي "نموذجاً" للفهم والتأويل "المتوكل؛ 2006، 209). وهو تمييز يخفي في تقديرنا نزعة صاحبه لفصل البلاغة عن النحو، وإخراج معاني الكلام من معاني النحو، وربطها بما هو تداوليّ من منظور وظيفيّ لم يتمثّل حقيقة كون البلاغة إنجازاً لمعاني النحو في المقامات التواصلية، ولم يتوصّل إلى حقيقة كون الخبر والإنشاء بوصفهما معاني الكلام هما معنيان نحويّان، وهو موقف يناقض منهجنا النحويّ البلاغيّ القائم على مفهوم الإعراب نحويّاً والمؤسس على معاني النحو بلاغيّاً.

4- في أنّ الإعراب أساس الدرس النحويّ، وأنّ معاني النحو أساس الدلالة النحويّة البلاغيّة:

بعد عرضنا لمحاولة ابن الأثير فصل البلاغة عن النحو، وإنّ كان فصلاً نظريّاً لم يتطوّر إلى إجراء تطبيقيّ على مسائل علم البلاغة، فإنّه فصل يخفي نزعة اتجاه كلاميّ في البلاغة، وهو اتجاه يرى أنّ فضيلة الكلام ميزته يحدّدان دون حسن توتّي معاني النحو في معاني الكلم، يعتبران أنّ معاني الكلام من إنشاء وخبر يمكن أن تحتني خارج قوانين الإعراب النحويّ، وهو اتجاه يقابل الاتجاه البلاغيّ النحويّ الذي تنبناه لصلته الوثيقة بروح النحو والبلاغة. ويمثّل هذا الاتجاه الجرجاني من خلال نظرية النظم التي مثلت مصالحة النحو على البلاغة، وعلم الأدب عند السكاكي الذي أعاد في نظرنا ترتيب ما توصل إليه النحاة والبلاغيين على أسس نحويّة صلبة.

لا نحتاج الحديث عن نظرية النظم عند الجرجاني، فالمؤلفات التي كتبت حولها كثيرة، وإنّ غلب عليها طابع الوصف و تميزت بعدم الوعي بالإطار الطبيعيّ لنظرية النظم عن الجرجاني، وهو الإطار النحويّ البلاغيّ، ولكننا نحتاج الحديث في علاقة الكفاية البلاغيّة بالكفاية النحويّة أو علاقة الإعراب أو معاني النحو بمعاني الكلام إنشاءً وخبراً "ولنا في تراثنا من المصنفات ما يجسّد هذا التكامل بين مختلف علوم العربيّة وينبئ عن فهم خاص ودقيق لمكانة النحو" (ميلاد، 2001، 318) في البلاغة خاصة وفي علم العربية بصورة عامة.

ولعل دراسة أستاذنا القدير خالد ميلاد تعتبر من الدراسات النادرة التي اهتمت بهذه العلاقة إذ ذهب إلى الإقرار بأنّ "الكفاية النحويّة أساس للكفاية البلاغيّة" (ميلاد، 2001، 317-322)، وأنّ الإعراب أساس معاني الكلام إنشاءً وخبراً انطلاقاً من إعادة قراءته لنظرية النظم عند الجرجاني دراسة نقدر أنّه لم يسبق إليها.

تقوم نظرية النظم عند الجرجاني وهو النحويّ البلاغيّ "المتكلم على مذهب الأشعري" (السيوطي، بغية الوعاة، 31) على تجاوز القضية المفتعلة بين اللفظ والمعنى التي تسود التصورات البلاغيّة والنحويّة باعتبارها لا تعبّر عن

تطوّر موضوعيّ للبحث في معاني الكلام بقدر ما كانت إسقاطاً لمناهج وخلفيات علوم أخرى كعلم الكلام على البلاغة والنحو وإرساء نظرية النظم التي كانت نتيجة وعي الجرجاني ودرايته بمستويات التحليل ومستويات النظام النحويّ.

قضى الجرجاني سني حياته في تقليب الوجوه والفروق لإثبات إعجاز النص القرآني من منطلق أشعريّ، فاعتبر الإعجاز ليس في الألفاظ، وإنّما في النظم وطريقة في التأليف والتركيب والنسج والتجوير والترتيب. فالألفاظ عنده تقع مرتبة وفق ترتّب المعاني في النفس لأنّك ترتّب المعاني في نفسك أولاً، ثم تحذو على ترتيب الألفاظ في نطقك، لأنّ "العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق" (الجرجاني، الدلائل، 93). ولا يقوم هذا التصوّر على الفصل بين النظام والنظم وبين البلاغة والنحو أو الدلالة الخاصة وإنّما هو تحديد لمستويات التحليل اللغوي.

وهو تحديد سمح بأن يؤسس الجرجاني في الدلائل لمنهج الدرس البلاغيّ النحويّ الذي تقوم عليه نظرية النظم بما هي نظرية نحوية دلالية تنظر في علاقة البنية النحوية بالدلالة وهو منهج يسلم بفرضيّة كون "الكفاية النحويّة معطى أوليّاً ومكوّن أسبق من مكوّنات الكفاية البلاغيّة التي يشترطها علم الأدب كما انتهى إلى أنّ هذه الكفاية النحويّة لا تعدو أن تكون معاني ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله وتوصف بأفهامها مقاصد وأغراض..." (الدلائل، 406) (ميلاد، 318، 2001).

وبناء على هذه المسلمة ميّز الجرجاني بين مستويين من الدراسة النحويّة البلاغيّة:

- مستوى مجرد نظامي يضم معاني الكلم وهو المستوى المعجمي "أوضاع اللغة" ومعاني النحو وهو المستوى الإعرابي المجرد. وهو مستوى يعنى بكيفية التركيب لتأدية أصل المعنى مطلقاً، وهو ما عبّر عنه ابن الأثير بالدلالة العامة وهي دلالة مجردة.
- مستوى إنجازيّ مقاميّ يهتم بالبحث في "خواص تركيب الكلام" لتأدية المقاصد والأغراض المطابقة لمقتضى حال المتكلم، فمعاني الكلام تقوم على النظر في خواصّ تركيب الكلام التي لا تعدو أن تكون إنجازاً لكيفية تركيب الكلام لتأدية المعاني المخصوصة في المقامات التواصلية.

ويقتضي هذا التمييز حقيقة كون تحصيل المعنى يكون في حسن توخي معاني النحو فيما بين الكلم، فليس النظم "إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها وذلك أنّنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه..." (الجرجاني، الدلائل، 64)، فالمعنى نحويّاً كان أو بلاغيّاً لا وجود له عند الجرجاني خارج النظم. وبناء على ذلك أقحم الجرجاني الدلالة البلاغيّة في الدلالة النحويّة أولاً، فما الإنشاء والخبر إلا وجوهاً بلاغيّة لفروق نظاميّة تحدث في معاني النحو وحسن توخيها في معاني الكلم، ونزّل الكفاية البلاغيّة في إطار الكفاية النحويّة ثانيّاً، فمعاني الكلام عند الجرجاني:

- معاني نحوية مجرد يكون العلم به مشتركا بين العرب وهو نظام تختزله "نفس" المتكلم بحيث يكون "كالمرآة تربه الأشياء المتباعدة الأمكنة قد التقت حتى رآها في مكان واحد" (مقدمة الدلائل)، وهذه المعاني النحوية المجردة هي المعاني الأولى.

- معاني نحوية تتوخى في معاني الكلم بحسب نظم وتركيب وترتيب لتأدية الأغراض والمقاصد، وهذه المعاني هي المعاني البلاغية، وهي معاني تقتضي معاني النحو وحسن توحيها في معاني الكلم حسب المقامات التواصلية.

مكّن هذا التمييز بين مستويات الدراسة النحوية البلاغية من ردّ كل المعاني البلاغية إلى قوانين النحو وأحكامه وإرجاع الدلالة الخاصة إلى الدلالة العامة، فما الدلالة الخاصة البلاغية إلا إنجاز ممكن من الاحتمالات الدلالية التي توفّرها الدلالة العامة، وهي دلالة نحوية مجردة. ولئن استند ابن الأثير إلى هذا التمييز، فاعتمده أساس لفصل النحو عن البلاغ، فإنّ الجرجاني قد أعاد به البلاغة إلى قوانين النحو الصارم ضمن منهج نحويّ بلاغيّ بدأت تبلور ملامحه منذ سيبويه، وفضل الجرجاني يكمن في تنظيمه وإرسائه على أسس صلبة تجلّ في نظرية النظم باعتبارها نظرية نحوية دلالية سندها وقد تدعمت بمجهودات لاحقة تمثلت في علم الأدب عند السكاكي.

إذا كان ذلك، كانت نظرية النظم محددة لعلاقة النحو بالبلاغة من خلال فصل القول في العلاقة بين الكفاية النحوية والكفاية البلاغية، وهو منعرج دلاليّ مهّد لتبلور رؤية تأليفية لمستويات النظام النحويّ، وضبط علاقة البلاغة بالنحو من خلال تحديد علاقة النحو وأساسه الإعراب العاملي وعلم المعاني وأساسه إجراء معاني النحو في معاني الكلم لتحصيل مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

مهّد الجرجاني بتحديد العلاقة بين الكفاية النحوية والكفاية البلاغية فيما صاغه من نظرية لنشوء أرضية لتبلور تصور قام على تحديد العلاقة بين النحو والبلاغة أو بين النحو وعلم المعاني من خلال وضع جهاز نظريّ تنظم فيه التصورات النحوية البلاغية فيردّ البلاغة عامة وعلم المعاني خاصة إلى قوانين الإعراب النحويّ.

5- علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان:

ذهب بعض الدارسين إلى التمييز بين منوال "توليدي" ومنوال "تأويلي" فاعتبر "السكاكي قد أنتج لنا منوال تأويلي خلافاً للمنوال التوليدي الذي تقف عليه في عمل الجرجاني (المتوكل، 1982، 75)، وهو تمييز ناتج عن اعتبار السكاكي والجرجاني بلاغيين مثلاً مرحلتين هامتين مختلفتين في تاريخ البلاغة ورائزه في التمييز "الدرجة النظرية" فتكون "الأولى ويمثلها الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، وتكون "والثانية يمثلها السكاكي بكتابه "مفتاح العلوم" (المتوكل، 1982، 44) ورغم ما في بحث المتوكل من نقاط اختلاف عن الدراسات التي اهتمت بالبلاغة بصورة عامة وبالسكاكي بصورة خاصة، فإنّها مقارنة تظل قاصرة عن إدراك خصوصية كل من نظرية النظم عند الجرجاني وعلم الأدب عند السكاكي فكلاهما يمثل مرحلة من مراحل تشكل ما سميناه المنهج النحوي في دراسة مسائل البلاغة مستفيد من تراكم منهجي معرفي كانت بدايته في الكتاب لسيبويه.

يقوم تصوّر السكاكي لاسترسال النحو بالبلاغة على تحديد لمستويات النظام النحويّ في مفهوم الأدب " فأودعته (أي علم الأدب):

- علم اللغة: والمقصود المعجم "المرجوع إليها في كفاية ذلك ما لم يتخط على النظم...

- علم الصرف بتمامه وإنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع على أنواعه الثلاثة.
 - وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان.
 - ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال.
 - ولخصت الكلام على حسب مقتضى المقام "(السكاكي، مفتاح العلوم، 3).
- أغنى السكاكي عرض هذه المستويات بتدقيق المصطلحات بقوله "وهذه الأنواع بعد علم اللغة هي المرجوع إليها في كفاية ذلك ما لم يتخط على النظم، فعلم الصرف والنحو يرجع إليهما في المفرد والتأليف، ويرجع إلى علمي المعاني والبيان في الأخير" (م ن). وهو تصور في انتظام التصورات النحوية البلاغية يميز بين:
- علم النحو، وهو علم يهتم ب"دراسة كيفية التركيب" لتأدية أصل المعنى مطلقا "وفق مقتضيات علم النحو بمفهومه الشامل للصرف والمعجم والإعراب" (السكاكي، 70) "وتمامه بعلمي المعاني والبيان" (السكاكي، 3)، والمقصود بمقتضيات علم النحو هي مقتضيات تكوين الكلام وإنجازه في المقامات التواصلية مقاصدا وأغراضا، فهي تشمل ما هو نظامي وما هو مقامي تداولي.
 - علم المعاني، وهو "تتبع خواص تراكيب الكلام" في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحتز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره "(السكاكي، 70) و"تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال" (السكاكي، 3).
- ويكاد هذا التمييز ألا يخرج عن تمييز الجرجاني بين الكفاية النحوية والكفاية البلاغية إلا بتأكيد السكاكي على العنصر التداولي المقامي، فيكون علم المعاني خاصة والبلاغة عامة إنجازا مقاميا لمعاني النحو، فصاحب المفتاح لم يفصل بين النحو والبلاغة، وإنما رد البلاغة إلى قوانين النحو، وما التمييز إلا إجراء منهجي، بمقتضاه تكون البلاغة معاني وبيانا "الصورة المنجزة في المقامات المخصوصة لأحكام النحو في مختلف المستويات اللغوية المعجمية والتصرفية والاشتقاقية والإعرابية" (ميلاد، 2001، 321)، وتكون المعاني البلاغية المقامية إنجازا مقاميا لمعاني النحو في المقامات التواصلية لتأدية المقاصد والأغراض.
- يترتب عن هذا التصور لعلاقة علوم العربية ببعضها البعض، وهو تصور تألفي إعرابي نحوي تمييز البلاغيين بين النحو باعتباره "يدرس التركيب بحسب الوضع ودلالته الوضعية" والبلاغة التي تدرسه "من جهة أغراض المتكلم منها وهي أغراض تجاوز الوضع" (المبخوت، 2001، 17، ميلاد، 2001، 317-321)، وهو تمييز منهجي تصنيفي تبويبي يدعم المنزلة المركزية للإعراب في دراسة معاني الكلام النحوية ومعاني الكلام النحوية البلاغية التي لا تعدو أن تكون إمكانا إنجازيا من مجموع الاحتمالات التي يوفرها النظام النحوي وأساسه الإعراب العاملي.
- إذا كان ذلك، كان المنهج البلاغي النحوي مرآة عاكسة للاسترسال بين علوم دراسة الخطاب في النظرية النحوية الدلالية العربية، وهو منهج يتأسس على قوانين النحو أساس الدلالة النحوية، ويقوم على معاني النحو بماهي قوانين

البلاغة أساس الدلالة البلاغية. فلا وجود لمعنى نحويًا صريحًا كان أو ضمنيًا خارج النظم بما هو حسن توخي معاني النحو في بين معاني الكلم لتأدية الوجوه معان وبيان بحسب فروق تحدث في التركيب توجب المزية والفضل البلاغيين.

خاتمة:

استدعى بحث الاسترسال بين النحو البلاغة أن نتقصى مناهج تحليل المعنى في النظرية النحوية الدلالية العربية، وهي نظرية مشدودة إلى تحليل الخطاب. وإن أخفت سيطرة الجانب التطبيقي الإجرائي الجانب النظري الذي يهتم مناهج العلوم ومصطلحاتها وخلفياتها، فإننا تتبعنا لمراحل تطوّر قادنا إلى استكشاف منهج بلاغي نحوي في دراسة مراتب المعنى.

ردّ هذا المنهج كل ما ننجزه باللغة إلى قوانين النحو وأحكامه الإعرابية التي تتأسس على نظرية العامل النحوي بما هي نظرية دلالية تقوم على اعتبار الإعراب معنى واعتبار البلاغة إنجازًا لمعاني النحو. ويترب عن هذا الأمر أنّ الخبر والإنشاء والاستعارة والكناية والصريح والضمي إنجاز لمعان النحو في المقامات التواصلية، وهو منهج نقدّر أنّه منهج احتكم إليه نحائنا وبلاغيين في دراسة الخطاب، وهو منهج ظل ثاويًا في علوم أخرى اصطبغت مناهجها بطبيعة الموضوع الذي يدرس ومن بين هذه العلوم أصول الفقه، فإذا كانت استرسال البلاغة والنحو قام على اقتضاء الكفاية البلاغية للكفاية النحوية، فإنّ استرسال علم أصول الفقه بالبلاغة استرسال اقتضاء الدلالة الأصولية للدلالة البلاغية النحوية وهو اقتضاء النظم للنظام.

المراجع:

- ابن الأثير (ضياء الدين)؛ "المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر"، ت، بدوي طبانة، دار النهضة، مصر - القاهرة.
- ابن صوف (مجددي)؛ (2010)؛ "علم الأدب عند السكاكي: بحث في انتظام التصوّرات اللسانية في مفتاح العلوم"، المعهد العالي للدراسات الأدبية والعلوم الإنسانية بتونس - دار مسكيلاني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى.
- الجاحظ (أبو عثمان)؛ "البيان والتبيين"، ت، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة
- الجرجاني (علي بن مُجَدِّد السيد الشريف)؛ "معجم التعريفات"، ت مُجَدِّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.
- الجرجاني (عبد القاهر)؛ (1981)؛ "أسرار البلاغة في علم المعاني"، ت، مُجَدِّد رشيد رضا، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت.
- _____؛ (1982)؛ "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، تصحيح مُجَدِّد عبده و مُجَدِّد الشنقيطي، دار المعرفة، بيروت.
- السبكي (بهاء الدين)؛ (2003)؛ "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح"، ت، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، الطبعة الأولى.
- السكاكي (أبو يعقوب)؛ (2000)؛ "مفتاح العلوم"، ت، عبد الحميد هنداوي، منشورات مُجَدِّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- سيبويه (أبو بشر)؛ "الكتاب"، ت، عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى.
- السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت مُجَدِّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- الشاطبي (عبد الملك بن عبد الله الجويني)؛ "الموافقات في أصول الشريعة"، ت، بكر بن عبد الله أبو زيد، مشهور دار المعرفة - بيروت.
- الشريف (صلاح الدين)؛ (2002)، "الشرط والإنشاء النحوي للكون"، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب.
- الشاوش (مُجَدِّد)؛ (2001)؛ "أصول تحليل الخطاب في النظرية العربية: تأسيس نحو النص"، كلية الآداب بمنوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس.
- الشكيلي (بسمة)؛ (2007)؛ "السؤال البلاغي: الإنشاء والتأويل"، دار مُجَدِّد علي للنشر، المعهد العالي للغات، تونس.
- الشيباني (مُجَدِّد)؛ (2015)؛ "من قضايا تصنيف الأعمال اللغوية: (مشروع قراءة)، مكتبة علاء، صفاقس - تونس
- صمود (حمادي)؛ (1981)؛ "التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات الجامعة التونسية.
- عبد القادر: (حسين)؛ "أثر النحاة في البحث البلاغي"، 1998، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.
- المبخوت (شكري)؛ (2004)؛ "نظرية الأعمال اللغوية"، دار مسكيلاني - تونس.

- (2006) "إنشاء النفي"، تونس، كلية الآداب والفنون والإنسانيات-مركز النشر الجامعي.
- المتوكل (أحمد)؛ المتوكل (أحمد)؛ (1986)؛ "دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي"، الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الأولى.
- (2006)؛ "المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد"
- مطلوب (أحمد)؛ (1964)؛ "البلاغة عند السكاكي"، منشورات مكتبة النهضة - بغداد، الطبعة الأولى.
- ميلاد (خالد)؛ (2001)؛ "الإنشاء بين التركيب والدلالة"، جامعة منوبة، كلية الآداب منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع-تونس.